

## المحاضرة الخامسة: طرق واساليب الاستعمار:

تتوعد اساليب الاستعمار وطرقه من دولة استعمارية لأخرى واختلفت معها السياسات الاستعمارية ففي ملاحظة عامة وبسيطة يمكن القول ان الاستعمار الفرنسي كان أشد وقعا وآلما على الشعوب وكلامنا هذا يمكن تبريره بدموية الفعل الاستعماري الفرنسي حيث ما حل وخير شاهد على ذلك ما فعله الفرنسيون على اثر نهاية الحرب العالمية الثانية من مجازر ارتكبت في حق الشعوب التي ناصرت فرنسا كانت تلك المجازر في بشاعتها أقصى من اعمال النازية. بينما نجد الانجليز أقل دموية وان كان اثر استعمارهم على المستعمرات أبقي واطول أمدا وهذا عايشته الشعوب في جنوب افريقيا أو في فلسطين أو في الهند من انقسام مازال الهنود يعانون منه وما مشكلة الحدود الا صنيعة انجليزية.

كما وجدنا البرتغاليون هم سادة وصناع بل واساتذة ظاهرة العبودية وما صاحبها من ممارسات في حق الشعوب الملونة اما الهولنديون والاسبان والبلجيكيون فكانوا قساة وها هو الملك ليبولد البلجيكي يتقن في تقطيع ايادي الكونغوليين فعن كل مائة عبد كان يبتر ذراعي عبد بدعوى تسهيل عملية حسابهم. مع ذلك حاولوا تبرير هذه الظاهرة تحت مسميات مختلفة يمكن تلخيصها كالآتي:

أ- الادماج: ظهرت أفكار مضادة ومعارضة لتلك الممارسات الجائرة عالجت في الكثير من المؤلفات هذه المشاكل. وهكذا سمحت مثل هذه المعارضة بظهور مؤلفين نشطين مناهضين لاستبعاد الملونين في افريقيا واسيا مثل الآب راينالاندي ألف بمعية ديدرو، "تاريخ الهندين" عام 1770، الذي شرح فيها بالحجج الاقتصادية ضرورة إلغاء أمر الاستبعاد، لأن العبودية والاستعمار إحدى شكلي الاستغلال الأكثر تخلفا.

وفي 1788 ظهرت جمعية أصدقاء الزوج في فرنسا، وأثناء الثورة الفرنسية، قال روبسيار الذي عرف بدموية أثناء أحداث الثورة وبتشجيعه لاستعمال المقصلة للتخلص من الخصوم

لقد كان رجلا دمويا لكنه راي في المستعمرات عبئا يجب التخلص منه: "قلتسقط المستعمرات"، وكأن يعني نهاية الاستعمار، وقد أُلغي الاستعباد في 1794، وقبل ذلك بثلاث سنوات، فَوَّض المجلس التأسيسي للمجالس الاستعمارية أمر منح حقوق الإنسان لأهالي المستعمرات، أي أن الثورة جاءت بنوع من التفسير لفكرة الإدماج. وهكذا نشأت فكرة اجتثاث المستعمرات من بين مخالب الهمجية عن طريق نشر الحضارة في أوساطها، أي بإدماجها في الحضارة عن طريق مد القوة المهيمنة بمؤسساتها السياسية إلى المستعمرات.

كانت القوى الاستعمارية، التي تسودها الثقافة اللاتينية كفرنسا وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال أهم الدول التي نَفَّذت سياسة الإدماج، السياسة التي يقتضي نجاحها وجود المستعمرة في حالة انقسام قبلي (أو على الأقل يسودها هذا التنظيم) حيث يندم وجود سلطة مركزية فيها (إفريقيا الاستوائية مثلا).

الاستعمار كان أكثر الاشكال شيوعا، وفيه تكون المستعمرة خاضعة للحكم المباشر بعد القضاء على الانظمة المحلية القائمة فيها، كحكم الداوي حسين في الجزائر سنة 1830 والملكة رانا قالونا الثالثة في مدغشقر سنة 1897، وتتبع غالبا وزارة المستعمرات.

ب- الضم: وكان يعني الحاق المنطقة المحتلة بالتراب الفرنسي واعتبارها جزءا لا يتجزأ منه، تم اخضاعها لوزارة الحربية في حالة عدم السيطرة عليها نتيجة المقاومة الشعبية، وقد شملت سياسة اللاحاق مستعمراتها الاستيطانية كضم الجزائر بموجب قرار 22 جويلية 1891 والمغرب الاقصى، ويمثل الادارة الفرنسية فيها الوالي أو الحاكم العام.

ج- الحماية: فرضت فرنسا حمايتها على تونس سنة 1881 وتشاد سنة 1899 والكونغو 1891 والمغرب الاقصى 1912 بدعوى عجز السلطات المحلية على حفظ الامن والاستقرار ومصالح فرنسا في المنطقة، وكان الحكم فيها غير مباشر بحيث حافظت فرنسا

على الانظمة السياسية القائمة كالأسرة الحسينية البايوية في تونس والاسرة العلوية في المغرب الاقصى، ويمثل الادارة الاستعمارية في المحمية المقيم العام.

د- الإشارك: تتمثل هذه السياسة في احتفاظ القوة المهيمنة بالزعامات المحلية في المجتمعات التي عرفت تنظيما سياسيا واسعا كالدولة، ومنحها (أو التقاسم معها) جزءاً من صلاحيتها وامتيازاتها، ويشترط في الإشارك اعتراف زعيم المستعمر بالسلطة الاستعمارية.

يبرر دعاة هذا النهج سياستهم هذه بمحاولة الإبقاء على الأرسنقراطية التقليدية السائدة في المستعمرة وبالحفاظ على التقاليد المحلية، وتعد مجموعة الدول الاستعمارية الأنجلو- ساكسونية، كالمملكة المتحدة وألمانيا وهولندا وبلجيكا، أهم القوى التي عملت على إرساء هذه السياسة في مستعمراتها، علما أن لها جاليات كبيرة تقيم في تلك المستعمرات. وفي فرنسا ظهر عدد من دعاة هذه السياسة أمثال ليوطي، غاليني، بول بارت، كما تعد الجزائر نموذجا خاصا تعايشت فيه عدة سياسات ومنها الإدماج والإشارك.

ه- التسيير الذاتي في مستعمرات الاستيطان: حين ظهرت الحاجة إلى تخصيص أكبر جزء ممكن من الميزانية لشؤون الوطن الأم، سمحت القوى الاستعمارية لمستعمراتها بأن تسيير نفسها بنفسها. ويتعلق الأمر هنا بمستعمرات الاستيطان كالجزائر وكندا وأستراليا وزيلنده الجديدة، المستعمرات المأهولة بأعداد كبيرة من المستوطنين، الذين أخذوا يطالبون بالانفصال أو الاستقلال، وقد كان استقلال الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية أحد أشكال تطور السياسة الاستعمارية على هذا النحو، أي إمكانية ارتباط المستعمرة بالدولة التي استعمرتها اقتصاديا دون الاحتفاظ بعلاقات الهيمنة الاقتصادية؛ ومثال ذلك بريطانيا التي أبقن، بداية من 1848، على علاقات تبعية مستعمراتها لها ومنحت، إبان هذه السنة نفسها، كندا حكومة تمثيلية ثم تلتها أستراليا وزيلنده الجديدة وجنوب إفريقيا. وفي 1867 أنشأت ما يعرف بالدومين يون الكندي وشرعت بذلك في استبدال السياسة الاستعمارية الصرفة بسياسة توحق بين شعوب مستعمراتها بواسطة روابط ثقافية وحضارية وتجارية مع الوفاء للتاج البريطاني،

أي ما سوف يصبح لاحقاً كومنولث. وباختصار، فإن مستعمرات الاستيطان هذه أخذت تتجه صوب نظام المساواة داخل الكومنولث وفق تطور دستوري تدريجي.

و- الانتداب: هو آخر الأشكال الاستعمارية ظهر بعد الحرب العالمية الأولى في مؤتمر صالح 1919 وقد قننته عصبة الأمم ومنحته الشرعية الدولية بموجب المادة 22 من ميثاقها، وشمل المستعمرات الألمانية في إفريقيا الكاميرون، الطوغو، ناميبيا والولايات العثمانية الشرق العربي سوريا، لبنان، فلسطين، العراق بدعوى قصور شعوبها وعدم قدرتها على تسيير شؤونها بنفسها، وقد انتدبت فرنسا على جزء من الطوغو والكاميرون وكان يمثلها المندوب السامي.

وهو منح عصبة الأمم، وبموجب المادة 22 من ميثاقها، حق تسيير شعوب متخلفة . غير قادرة على تسيير نفسها بنفسها وظلت إلى تاريخ المصادقة على معاهدة فرساي في 1919/2/14 خاضعة لدول محورية في الحرب العالمية الأولى كألمانيا والدولة العثمانية لدول متقدمة هي نفسها الدول المنتصرة على ألمانيا والدولة العثمانية ، حتى تقودها إلى حالة أفضل وتجعلها مؤهلة لأن تقرر مصيرها بنفسها. بعد إنشاء هيئة الأمم المتحدة عام 1945، أصبحت الأراضي الموصي عليها، باستثناء جنوب غرب إفريقيا (ما سوف يُعرف لاحقاً باسم ناميبيا) ، تحت وصاية الأمم المتحدة، غير أن الدول المنتصرة في الحرب هي التي سيرتها.

يتميز الانتداب عن الاستعمار من حيث الشكل ب: كونه حالة في تطور، قد تنتهي إما باستقلال الشعب الخاضع للانتداب وإما باندماجه الطوعي مع الدولة الوصية؛ لا يدخل تسيير شؤون الشعوب الموصي عليها ضمن سياسة استعمارية معينة بل ضمن مسؤولية دولية؛ لم يكن الانتداب يعني دائماً تهيئة الشعب للاستقلال، بل لحالة أسوأ ( حالة فلسطين مثلاً).

اختلف الانتداب من قوة لأخرى (بريطانيا وفرنسا مثلا)، إذ أن عصبة الأمم لم تراقب أية واحدة منها، مما جعل مثلا فرنسا تسمى سوريا ولبنان، الخاضعتين لوصايتها، كما مارست بريطانيا، باسم الانتداب، استعمارا حقيقيا.

تقسيم الانتداب من قبل عصبة الأمم :

الإنتدابات أ: سوريا - لبنان (فرنسا) استخدمت فرنسا، بدلا من انتداب، عبارة: المؤسسات الفرنسية في الشرق. فلسطين - شرق نهر الأردن - العراق (بريطانيا).

الإنتدابات ب: الكامبيرون، طوغو (فرنسا) ؛ شمال غرب الكامبيرون، طوغو الغربي، نغانিকা (بريطانيا)؛ رواندا - أورندي (بلجيكا)

الانتدابات ج: الجنوب الغربي الإفريقي (اتحاد جنوب إفريقيا)؛ أراضي المحيط الهادي - شمال الإكواتور - أرخبيل الكارولين - ماريان - مارشال (اليابان)؛ أراضي المحيط الهادي - جنوب الإكواتور - نورو (بريطانيا) وتديرها أستراليا؛ غينيا الجديدة الشرقية (أستراليا)؛ ساموا الغربية (زيلندة الجديدة).